مقياس : مناهج البحث **السنة الجامعية : 20/2020**

أستاذ المقياس : د حابل ندير **مستوى : السنة الأولى ماستر غربية**

الجينيالوجيا منهج البدء والتأسيس للاختلاف .

في مفهوم الجينيالوجيا : نشير في البداية أن مفهوم الجنيالوجيا عصي عن الترجمة باعتبار اللسان العربي لا يحيط بدلالته رغم محاولات البعض ترجمته بـ : النسابية ، النقد الجذري النسابي ، قلب القيم ... إلا أنها لا تعبر عن الدلالة الحقيقية لـ الجينيالوجيا .

جينيالوجيا Généalogie : من الجذر اليوناني Génose التي تعني الأصل و Logos أو Logie التي تعني العلم ، نجد الجينيالوجيا في اللسان الألماني بمعنى Herknunft التي تحيل إلى مفهوم الأصل أو L'Origine أو النسب أو الانحدار (أي مما تنحدر القيم أو الموروثات) .

من حيث المفهوم التقني نجدها ترتبط بالتأويل حيث تعتبر : تأويلا مرتبطاً بتقنية منهجية

في الفلسفة تعني حسب جيل دولوز: قيمة الأصل و أصل القيمة / أو أصل القيم في الوقت ذاته ، وهي تتعارض مع مطلقية القيم ، كما تتعارض مع الطابع النسبي والنفعي للقيم .

الجينيالوجيا تعني العنصر التفاضلي للقيم الذي تنبع منه قيمتها بالذات .

الجينيالوجيا تعني الأصل الأول ولكنها ضد فكرة الأصل المطلق ، وهي تعني أيضا الدناءة والنبل وتعني الانحطاط في الأصل .

المنهج الجينيالوجي : مطلب جديد يتوجه نحو نقد القيم وتقويضها / هدمها لمعرفة شروطها وتعرجاتها ، وخاصة القيم الأخلاقية باعتبار الأخلاق أخطر عدو للإنسانية (حسب نيتشه)

تتأسس الجنيالوجيا كمنهج ضد كل ما هو معطى / ضد المسلمات / ضد الماهيات ، ضد كل حقيقة سابقة ، ضد كل هوية ثابتة أو مطلقة تدعي الأصالة أو ثبات الأصل ، ضد المفهوم التطوري (التراكمي) للقيم والتاريخ والمقدس سواء ديني أو ثقافي أو تاريخي أو أخلاقي ....

مهمة هذا المنهج : يتصور المنهج الجينيالوجي البدايات التاريخية للحقائق والمفاهيم بدايات ضعيفة ومعقدة ودنيئة ، هي أنماط تاريخية تتميز بالهشاشة La Fragilité ، لأنها تخفي خلفيات ومصالح غير بريئة تختفي وراء واجهة المفاهيم والقيم والحقائق المطلقة التي يتم تقديمها كحقائق نهائية / كونية / متفق عليها ، مهمة الجينيالوجيا هنا تتمثل في الكشف عن الطابع المصطنع / المزيف الذي أسس المفاهيم والقيم المطلقة ، وتفنيد كل ماهو معطي راسخ وهدمه ، وهنا يعتبر الهدم قدرة على التجاوز و البناء : تجاوز نحو خلق قيم مستقبلية جديدة وهوية إنسانية أقوى وأقدر على صناعة الحقيقة وصناعة القيم وصناعة الحياة .

يعود أصل هذا المنهج إلى نيتشه بوصفه فيلسوفا متمردا ضد فكرة الماهية والجوهر والموضوعية ، ضد العقل الفلسفي الذي ورثه الفكر الغربي منذ أفلاطون إلى هيجل ، لهذا سعى نيتشه إلى هدم الموضوعية وتعميم الذاتية باعتبار الإنسان حيوان مجازي يمتلك القدرة على إنتاج الاستعارات ولهذا ينبغي إحلال الاستعارة الحية بدلا عن الاستعارة الميتة ، يدعوا نيتشه من خلال هذا المنهج إلى فلسفة الحياة التي لا وجود فيها للمقدس الديني والأخلاقي والثقافي .

لقد سعى نيتشه إلى تقويض التاريخ نقديا ضد فكرة تراكمية وتطور التاريخ التي قال بها ماركس ، وكان هذا التقويض بتجاوز السرد الميتافيزيقي للحقيقة إلى قلب كل الحقائق المطلقة التي تتأسس على هويات ثابتة التي غرستها الميتافيزيقا في العقل الذي أصبح يؤمن بفكرة الأصل المقدس (أي لكل مفهوم أصل ثابت مقدس) هو في الحقيقة وهم ، لهذا كان من الضروري الثورة ضد **الأصل** ، الجينيالوجيا هنا : **عودة للأصل – ضد الأصل** : فهي عودة نقدية ثورية للأصل لا لتأصيله أو تجذيره بل لنقده وهدم البعد الميتافيزيقي فيه ونقله من مرتبة الثبات والتقديس إلى المساءلة النقدية والهدم ، إنها أساسا قيام ضد مفهوم الأصل في معناه الميتافيزيقي ، ذلك الأصل الذي تضعه الميتافيزيقا دوما " قبل السقطة وقبل الجسد، قبل العالم وقبل الزمن".

لقد أوهمتنا الميتافيزيقا أن الأشياء في بداياتها كانت كاملة ، واضحة ، وهناك حقائق خالدة للأشياء والأفكار ، إلا أن الجينيالوجيا تهدم هذه النظرة : هذه الأشياء ليست كاملة لأنها تخفي

وراءها خلفيات ، و فكرة الحقيقة الخالدة للأشياء ليست إلا وهماً ، حيث لا توجد حقائق بل توجد فقط تأويلات .

من الضروري التمييز بين **مفهومين للأصل** :

الأصل ميتافيزيقيّ : مصدره الميتافيزيقا التي رسخته في العقل أثناء بحثها عن حقيقة الماهيات والدلالات المثالية والغايات اللانهائية التي هي في الحقيقة غير موجودة ، هو الأصل الوهم الذي يقدم نفسه كأصل أول وهو الذي يحدد الخصائص ويعين هُويات الأشياء ويعطيها الثبات ولهذا تمجده الميتافيزيقا .

الأصل المضاد / الثوري / المتمرد : يعتبر تمردا ضد الأصل الميتافيزيقي ، هذا الأصل تمثله الجينيالوجيا في شقها التاريخي باعتبارها ثورة ضد الحقيقة المطلقة والهوية الثابتة ولهذا يعتبر هذا الأصل هدما للوهم الميتافيزيقي الطلق وتعرية لمفاهيمه وتحويلها إلى النسبية ، هذا الأصل يحتقر الأصل الميتافيزيقي .

نجد في فلسفة نيتشه تطبيقات الجينيالوجيا كمنهج من خلال :

الثورة القيمة ونقد الأخلاق وهدم كل القيم

الثورة ضد التاريخ الميتافيزيقي الاختزالي التطوري أحادي المسار مثلما قدمه ماركس

لقد حولت الجينيالوجيا مسار الاهتمام الفلسفي من السؤال عن الحقيقة وتتبع تاريخها إلى ما وراء الحقيقة ومن يعطي هذه الحقيقة قيمتها (من السؤال ما : ما الحقيقة ما تاريخها ما .... إلى السؤال من : من يصنع الحقيقة من يخلق القيم ... ، وهو تحول من المطلقية والمشترك الإنساني إلى النسبية والفردانية والقوة .

الجينيالوجيا سؤال النقد والهدم وتعرية الوهم الذي يسائل القيم من أعلى / من فوق عكس الميتافيزيقا التي تقدسها ولا تتعالى عليها ، هو سؤال التعالي الذي لا يعترف بمطلقية أو قداسة : التاريخ و الأخلاق والقيم ، الدين والقيم المقدسة الزائفة ، الفلسفة ...)، بل يعتبرها عداوات مع المنهج ، حسب ميشال فوكو : " التاريخ عند نيتشه هو وقائع عداوات دينية وتفسيرات مفروضة

بالإكراه وروايات مشددة تستر تحتها أحقر الغايات ... التاريخ مصنوع من حوادث وشتات وأحداث عرضية وأكاذيب ليس لها أي علاقة بتفتح الحقيقة .." [1]

لأن التاريخ مصدره ميتافيزيقي وهو قائم العنف والإكراه والعبودية وإخفاء الحقائق ونشر وهم الأخلاق والقيم والدين واللاهوت ،و الميتافيزيقا كانت دوما تهدف إلى إلى إفساد الطبيعة البشرية

ولهذا يرى نيتشه أن هناك نوعان من التاريخ : التاريخ الميتافيزيقي الذي يمجد الأصل ويعتبر عائقا أمام الحرية وإرادة الحياة لأنه يقدس ذاكرة العبودية ، و التاريخ الجينيالوجي لا يستند ولا يعترف بمفهوم الثبات ولا بمفهوم الكونية ، تاريخ ضد الماضي تاريخ الحرية والصيرورة والإرادة الذي يحتقر هذا الأصل ويسعى إلى تعريته وتأويله وتفكيكه ، إنه تاريخ الذاكرة المتمردة ، تاريخ الحياة .

المنهج الجينيالوجي يعتبر ثورة ضد الثوابث المطلقة والمبادئ القبلية المتعالية ، يفضح التاريخ و الأخلاق ، العواطف ، القيم ، الثقافة ...الخ) ، هو صيرورة ضد المألوف لأنه يحول الحقيقة المقدسة الخالدة إلى حقائق نسبية فانية إنه منهج يشخص ويفكك علاقات القوة والضعف ، والعادات ، والمثل ، ويؤسس للحرية والحقيقة التي يصنعها الإنسان وحده ، هذا ما قام به نيتشه عندما قلب الأفلاطونية وهاجم المرحلة السقراطية واصفا فلاسفتها (سقراط وأفلاطون وأرسطو فلاسفة الانحطاط) وهاجم المسيحية بوصفها دين الضعفاء .

لقد مكنت الجينيالوجيا كممارسة نقدية تقويضيه من تحويل الفكر من الأحادية والمطابقة إلى التعدد والاختلاف ، ولهذا تعتبر جينيالوجيا نيتشه قاعدة لفلسفات ما بعد الحداثة والتقويض والاختلاف (هايدغر ، ديريدا ، دولوز ، باطاي ، جون فرونسوا ليوتارد .... الخ)

[1]- درايفوس – ميشال فوكو مسيرة فلسفية – ترجمة : جورج أبي صالح – مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان – ص 100